سلسلة
الأشياء فى عيون الصغار

فارس من الأبنوس
الحطاب العجوز

تأليف
أحمد الشيخ

رسوم
ياسر نصر

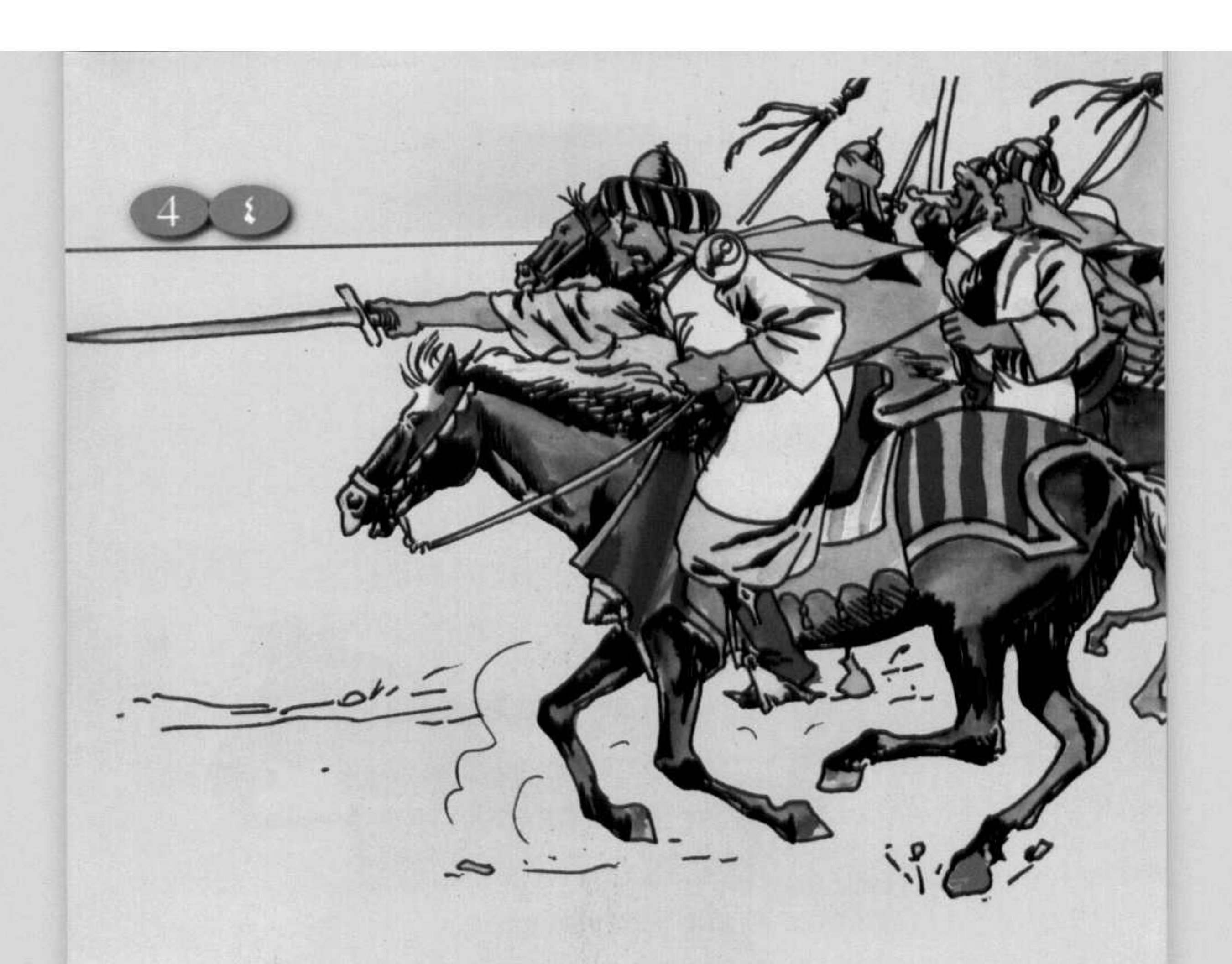


مصر الجديدة : ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
ت: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠
مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس - المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

تحكى لنا الأشياء

عن فارس شجاع على ظهر جواد عـربى أصيل، صحيح أن الفارس كان مجـرد تمثال من الأبنوس الأسـود، وصحيح أن الحـصان كـان هو الآخر من الأبنوس الأسود، لكن السيف الذى أمسك به الفارس فى يده اليمنى كان من صلب متين لا يصـدأ، وكان لمعان حدِّ سـيفه ينعكس على وجهـه فيلمع هو الآخر، وعندما كان تمثال الفارس يتعرض لشعاع الشمس فى كل صباح، كان من الممكن أن يرى فيـه الناس علامات الشـجاعة والقـوة أكثر وأكثـر، كانوا يتحدثون عنه بحمـاس وإعجاب شديدين، كانوا يقولون إن فارساً حـقيقياً له هذه النظرة الجسورة والقـبضة القوية لابد أن يكون قد دخل عـشرات المعارك





وانتصر فيها، ففارس مثله على ظهر جواد قوى جسور لابد وأن يحارب وينتصر، ولابد أيضاً أن يكون من هؤلاء الفرسان الذين يحاربون فى شجاعة ويتحدثون فى خجل، ولابد أن من صنعه بهذه الدقة رأى بعينيه فرسان الزمن القديم، أولئك الذين يجب لنا أن نتباهى بما فعلوه فى حياتهم، كانت كل نظرة للتمثال تشعرك بالرهبة، وإذا كنت أنت تشعر بقوة الرهبة، وأنت العارف أنه فارس عربى مثلما أنت عربى، وأنه فى نهاية الأمر تمثال صغير، فكيف كانت تنظر إلى الفارس العربى القديم عيون الأعداء؟ لابد أنها كانت تفر هاربة خوفاً من سيفه اللامع فى يده اليمنى القوية وحصانه السريع :

سأبوح لكم بما قالته الأشياء:

- دخل رجل غريب ونظر إلى التمثال، كـان البيت خالياً من كل الأحياء وكان الوقت مساءً ولم تكن هناك إلا القـليل من الأضواء، مد الرجل الغريب يده إلى قبضـة الفارس اليمنى التى تمسك السـيف المصنوع من صلب متين لا يصدأ، جذب السيف وقاوم الفارس، وبعنف أكـثر جذب السيف ويد التمثال تقاوم حـتى أفلح الرجل الغـريب فى نزع سلاحـه، ولابد أن نتخـيل أن قوة الرجل الغريب كـانت أكبر بكثـير من مقـدرة تمثال صغـير من الأبنوس على المقاومة، بذلك باحت الأشياء.

من يومها فـقد الفارس الشجاع صفـته كفارس شجاع، تحـولّ إلى مجرد شـخص فوق ظهـر حصـان، يرفع يده الخـاليـة إلى أعلى، كأنه يصـرخ أو يستجيـر، لأنه بغير سلاح سوف لا يتمكن من حـماية نفسه أو الأرض التى



يقف عليها حصانه، ولك أن تتخيل إذا هاجمته جيوش الأعداء، وهو الفارس الشجاع الذى لم يعرف فى حياته إلا الحرب وتخويف الأعداء، إنك إن نظرت إليه بعد أن فقد سيفه فلابد أن تشعر بالحزن من أجله، وغيرك ربما يضحك عندما يراه وهو يرفع يده الخالية إلى أعلى ويصرخ، فالسلاح فى يد الفارس شرط ليستحق لقب فارس، وربما بسبب ذلك أجدنى مستعداً لتصديق ما قالته لنا الأشياء، ذلك أنها قالت أن تمثال الفارس الذى فقد سيفه بطريقة

ظالمة، يبكى ، يبكـى، ويشتكى مـن ظلم الرجل الغـريب الذى نزع من يده السـيف وحوله إلى مـجرد شـخص فـوق ظهر حـصان، ولو أن تمثـالاً من الأبنوس تعلم كيف يتكلم لغة الإنسان لسمعناه، لكنه يتكلم لغة الأبنوس فلا نسمـعه، ونحن لا نحـتاج إلى سمـاع صوته أو رؤية دموعـه لكى نفكر فى إنقـاذه، ولذلك فأنـا أدعوك فى نهـاية الحكاية للبـحث مـعى وكل أصدقـاء الفارس العـربى عن ذلك السيف الذى أخفـاه الرجل الغريب، أو على الأقل مساعدته فى الحصول على سـيف جديد يناسبه، فليس من المعقول أو المألوف

أن يبـقى الفارس طويلاً بلا سـلاح وعلى العكس من الفارس الإنسـان الذى يستطيع أن يجـد لنفسـه دائماً سلاحـاً جديداً آخر إذا فـقد فى ميـدان الحرب سلاحه لأنه يملك العقل والقدرة على الحركة والإيمان بالله.



كان تمثالاً صغيراً من الجبس المدهون يقف وحيداً على رف من الصاج:

وقد ظل التمثال الصغير فى هذا المكان منذ زمن طويل.. وحيداً تحط عليه الأتربة ولا تمتد إليه يد.. وكان هذا التمثال نفسه لحطاب عجوز.. يحمل على كتفيه كتلة من الجبس المدهون بلون الخشب وحيث أن ربطة الخشب كانت أكبر منه حجماً فهى بالطبع تزيد عن وزن الحطاب العجوز.. لكن الحزن على ملامح الحطاب لم يكن بسبب حمله الثقيل ولا بسبب رف الصاج الذى ينقل الرطوبة إلى قدميه العاريتين.. كل ذلك لم يكن يهم الحطاب العجوز فالأحمال الثقيلة لا تسبب لحطاب أى نوع من الاحتجاج.. وكل حطاب يعرف طبيعة العمل الذى يقوم به لا يحق له أن يغضب بسبب الثقل الذى يحمله.. ولا بسبب أنه يمشى حافياً.. ولا حتى بسبب تلك الأتربة التى تغطى وجهه وجسده الضامر.. كل ذلك لا يهم.. فهو فى نهاية الأمر تمثال لحطاب عجوز.

ولو فكر التمثال فى التخلص من حمله لفعل فيكفى أن يرفع إحدى قدميه إلى أعلى.. وسوف يختل توازنه ويسقط بحمله وغالباً سوف ينفصل عنه أو ينكسر نفس التمثال.. لكنه لم يكن يرغب فى تعريضه بعد كل هذا العمل لمثل هذه النهاية الحزينة ولذلك صبر التمثال.. وصبر وصبر..

شئ واحد هو الذى ضايقه.. كان التمثـال يشعر بوحدته.. كان وحيداً فى حجرة مغلقة سافر أهلها وطال غـيابهم.. وكان ما يؤسفه أنه لم يعد يميز بين الليل والنهار.. فالظلام يحيطه من كل جانب.. ولم تكن فى يد التمثال ساعة.. وحتى لو كانت معه ساعـة فإنها لم تكن لتفيده فى شئ.. فالظلام والأتربة التى علت وجهه.. والأبواب المغـلقة والحمل الذى يزيد عن وزنه.. كل ذلك جعله يشـعر بأن الأمر سـيان.. ولا شئ يهم.. ذات صباح شـعر تمثال الجبس المـدهون بأصابع رقيقة تحـمله من فوق الرف.. تتحـسس جسده ووجهه.. لكن التمثال لم يصدق قال لنفسه: إننى أحلم ولا شك.

لكن التمثال لم يكن يحلم.. كان الأمر حقـيقة فسيدة البيت عادت وهى تحب هذا التـمـثـال حـبـاً شديـداً وتقـول لكل من يراه.. هذا هو الإنســان الحقـيقى.. وقد عـادت السيـدة من سفرها بعـد طول غيـاب وكان أول شئ فكرت به هو التمثال.. لكن التمثـال نفسه لم يصدق أى شئ.. حتى الضوء الذى رأته عيناه.. لم يصدقـه.. حسبه حلما يراه ولم يشـأ أن يصدقه.. لو كانت إحدى يديه خاليـة لقرص نفسه ليتأكد.. لـكنه كان قد وصل إلى حاله من عدم الاهتمام بشئ على الإطلاق وهذا خطأ كبير.



في صباح اليوم التالى سمع التمثال صوتاً.. عجب للأمر.. وشك أن يكون حلمه بهذا الطول.. التفت التمثال ناحية الصوت فرأى حصاناً خشبياً يتحدث إليه وهو يقف على نفس الرف من الصاج قائلاً:

- أيها التمثال من الجبس لحطاب عجوز.. إننى أتحدث إليك منذ يومين. لكنك لا ترد.. إننى حزين لأنك فقدت السمع.. لقد اشترتنى سيدة البيت من أجلك.. فهى تعرف أنك تحب الخيل.. أما زلت غير قادر على سماع صوتى.. دهش تمثال الجبس.. وصرخ فى فرح:



- آه.. آه.. أيها الحصان أننى أسمعك.. أسمع كل حرف.. إننى مندهش.. لقد اعتدت أن أعيش وحيداً مهملاً فى المدة الأخيرة.. إننى أرحب بك.. أرحب بك.. لقد فقدت قدرتى على التعبير.. لقد انستنى وحدتى قدرتى على التعبير.. إن الوحدة شئ سخيف.. إننى سعيد.. سعيد بك تماماً أيها الحصان الخشبى الجميل.

كذلك كان يدور الحديث بين الحطاب العجوز والحصان الخشبى الصغير. وكذلك نشأت بينهما صداقة شديدة.. وكذلك عادت للحطاب بهجته وسعادته ورغبته فى الحياة بعد طول انتظار.

رقم الإيداع: ٨٠٨٢ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى: I.S.B.N.

977-294-195-3